إعادة تدوير إعلامية للمحتوى الذي يستهدف اللاجئين (Getty)

تقوم صناعة خطاب الكراهية في تركيا على أكاذيب يجري ترويجها مرارا وتكرارا إلى أن تصبح حقائق في ذهن الجمهور، بالرغم من نفي جهات حكومية تعجز عن مواجهة إعادة تدويرها عبر تكامل بين وسائط الإعلام التقليدي والرقمي

خطاب الكراهية [2/2]

ترويج المحتوى المضلل عبر إعادة التدوير في تركيا

إسطنبول ـ **زاهر البيك**
أحمد حاج بكري

منذ عام 2018 تلاحظ الباحثة التركية ديليك ايشتان تصاعدا واضحا في خطاب الكراهية، عبر عملها في جمعية الإعلام والهجرة المعنية بمكافحة المعلومات المضللة وخطاب الكراهية ضد اللاجئين والمهاجرين في وسائل الإعلام، والتي تعد عضوة مؤسسة فيها. وقتها، تحول خطاب المعارضة إلى التحريض العلني ضد اللاجئين كونه «سلاحا رابحا في فترات ما قبل الانتخابات»، تقول ايشتان والتي «لا تعتبر ظاهرة معاداة اللاجئين والخطاب العنصري أمرا جديدا في تركيا»، غير أنها لم تكن منتشرة بالشكل الحالي لأن البلد دولة عبور إلى أوروبا وليس مكان استقرار، وما زاد من الظاهرة عدم تصميم مرحلة انتقالية لاستيعاب هذا العدد الكبير من اللاجئين، بل جرى الأمر خلال فترة قصيرة جدا، ولم يتم وضع خطة واضحة للتعامل مع الملف وتبعاته المحتملة في أثنائها. وأدى طول الفترة الزمنية وتصاعد موجات اللجوء والهجرة عالميا إلى انفجار القلق والخوف لدى المواطنين، وهو ما لاحظته أحزاب المعارضة ولعبت عليه، كما توضح ايشتان. لكن ما هي المضامين التي نسجها سياسيون وأكاديميون ومؤثرون حول اللاجئين؟ وما هي الأدوات التي اعتمدوا عليها للسيطرة على عقل الجمهور والتأثير فيه؟ السطور التالية تجيب عن هذين السؤالين وسياقها عبر رصد عينة من مضامين تحوي خطابا تحريضيا أو أخبارا زائفة تستهدف اللاجئين في تركيا.

السوريون هدف معلن لوسائط إعلامية

بشكل ممنهج تعمد وسائل الإعلام المحلية في تركيا إلى ربط اللاجئين خاصة السوريين بجرائم القتل والسرقة والتحرش وغيرها من المخاطر الأمنية التي تهدد البلاد وعلى رأسها الإرهاب، كما تصورهم على أنهم مسؤولون عن الأوضاع الاقتصادية السلبية والبطالة في البلاد، وتهديد خطير للبنية الديمغرافية وفي أقل التشبيهات سوءا تقدمهم باعتبارهم مصدرا للإزعاج والتوتر، بحسب ما تكشفه نتائج دراسة أجراها وقف هرانت دنك التركي Hrant Dink Vakfı (مؤسسة تركية لمكافحة التمييز)، بعنوان: رصد خطاب الكراهية في وسائل الإعلام، نشرت في شهر سبتمبر/أيلول من عام 2020 بعد رصد وتحليل خطاب الكراهية في وسائل الإعلام المطبوعة الرسمية والمحلية في تركيا لمدة 4 أشهر خلال عام 2019، وجرى فيها استخدام خطاب الكراهية ضد السوريين 760 مرة في وسائل الإعلام المرصودة، وهي جرائد وصحف محلية ومواقع أخبار إلكترونية وقنوات تلفزيونية.

وأكثر القوالب تكرارا في الموضوعات الصحافية التي شملتها الدراسة، المبالغة والتعميم وتشويه الحقائق، مثل «أصبحنا أقلية في وطننا والمهاجرون هم الأكثرية»، «سئمنا السوريين». علاوة على ذلك استخدمت تلك الوسائط أسلوب الإهانة والتحقير المباشر لوصف مجتمع اللاجئين مثل «محتال»، «خائن»، «عديم الأخلاق». فضلا عن استخدام عبارات معادية تحرض تجاه مجتمع اللاجئين مثل «وحشية العرب»، «الأجانب يتحرشون بأطفالنا»، «اغتصاب الفتيات التركيات»، «عدوان المهاجرين بالأسلحة البيضاء».

ولا يقتصر نشر محتوى الكراهية على وسيلة الإعلام التي تبادر لخلقه، إذ رصد معدا التحقيق الصورة التي نشرتها جريدة korkusuz على غلافها في يوليو 2019 لشاب تحت عنوان «هكذا يستمتع السوريون بالبحر في تركيا»، وقتها تناقلت الصورة 4 آلاف حساب على فيسبوك منها ما هو تابع لوسائل إعلامية أخرى بحسب منظمة teyit التركية المختصة بتدقيق المعلومات والأخبار، والتي كشفت أن الصورة تعود لشاب تركي اسمه أرزين صويلو وليست لشخص سوري، وهو ما أكده صاحب الصورة، في تغريدة عبر حسابه على «تويتر».

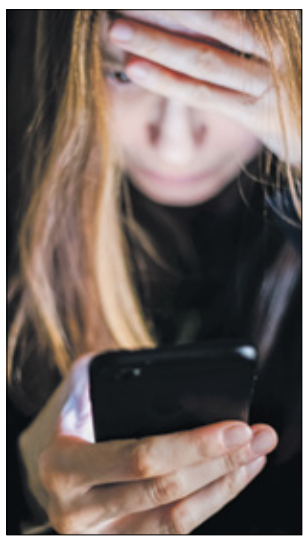

الخطاب التحريضي أداة رئيسية للمعارضة قبل الانتخابات

تخلق الخطابات التمييزية «دوامة من الكراهية» ضد اللاجئين

إذكاء الكراهية عبر التلاعب بالبيانات الإحصائية

في الأول من ديسمبر/كانون الأول الماضي أصدر المدعي العام في أنقرة قرارا بفتح تحقيق قضائي بحق الأكاديمي وزعيم حزب النصر أوميت أوزداغ، موجها له تهمتين منفصلتين هما «نشر معلومات مضللة» وحملت رقم (2023/16446) والأخرى «تحريض الجمهور علنًا على الكراهية والعداء» وحملت رقم (2023/197905)، بحسب قرار فتح التحقيق الذي اطلعت عليه «العربي الجديد»، مع ذلك كرر أوزداغ لمتابعيه البالغ عددهم 2,9 مليون حساب على موقع X، المعلومات المضللة ذاتها زاعما وجود 13 مليون لاجئ ومقيم غير قانوني في تركيا، وهو ما نفته وزارة الداخلية مرارا وتكرارا أحدثها في منتصف ديسمبر الماضي على لسان الوزير علي يرلي كايا في تصريحات صحافية قال فيها «إن المهاجرين النظاميين المقيمين 4 ملايين و613 ألفًا و984 مهاجرًا».

ونشر أوزداغ خلال الفترة بين مايو/أيار 2021 وحتى مايو/أيار 2022 عبر حسابه 1677 منشورا، هاجم في 777 منها الأجانب وخصوصا السوريين والأفغان وسعى لربطهم دوما بالأفعال السلبية وطالب بطردهم زاعما أنه حل لكافة مشاكل البلاد، وفي الثالث من مايو/أيار 2022 أكد في تغريدة عبر «X» كذلك أنه موّل فيلم الغزو الصامت الوثائقي الذي صوّر اللاجئين السوريين على أنهم يحتلون البلاد وقال: «الفيلم أظهر عواقب الهجرة غير المنضبطة، السوريون ليسوا ضيوفا».

ويعد الأسلوب الذي وظفه أوزداغ بنشر رسائل تشوه السوريين وتجرمهم ويقوم على المبالغة وإثارة مخاوف الجمهور من خلال التلاعب بالبيانات الإحصائية، الأكثر حضورا من بين الاستراتيجيات الخطابية التمييزية المستخدمة في التغريدات السلبية المتعلقة باللاجئين السوريين، وحاز على نسبة 46,8%، بواقع 1666 تغريدة على موقع X من أصل 4217 نشرت في الفترة الممتدة بين 25 أكتوبر/تشرين الأول 2019 و5 نوفمبر/تشرين الثاني من عام 2021، تحت وسم «لاجئ»، و«لاجئ سوري»، و«لا نريد السوريين»، و«ليرحل السوريون»، وفق ما تكشفه دراسة بعنوان: تحليل خطاب الكراهية في تويتر تجاه اللاجئين، والتي نشرتها كلية الاتصال في جامعة أكديniz Akdeniz Üniversitesi في أنطاليا جنوب تركيا بتاريخ 31 ديسمبر/كانون الأول 2021.

نتائج خطاب الكراهية على اللاجئين

فقد 13 شخصا حياتهم وأصيب 24 آخرون نتيجة لهجمات عنصرية استهدفت اللاجئين والمهاجرين خلال العام الماضي، بحسب تقرير انتهاكات حقوق الإنسان في تركيا لعام 2023 المنشور على موقع مركز التوثيق بمؤسسة حقوق الإنسان التركية İnsan Hakları Derneği (غير حكومية)، بينما في عام 2022 وصل عدد ضحايا هجمات الكراهية إلى 12 شخصا من اللاجئين أو طالبي اللجوء، وأصيب 14 آخرون في 20 واقعة مختلفة بحسب تقرير انتهاكات حقوق الإنسان عام 2022.

ورصد المركز ذاته في تقرير حول جرائم الكراهية والهجمات العنصرية نشر بتاريخ 22 سبتمبر 2020، وقوع 280 هجوما عنصريا (ضد السوريين وغيرهم) بين عامي 2010 و2020، قتل فيها 15 شخصا من بينهم 3 أطفال سوريين وأصيب 1097 آخرون.

وفي 5 فبراير/شباط عام 2022، أصدرت لجنة مناهضة العنصرية والتمييز التابعة للمؤسسة ذاتها، تقريرا يوثق أمثلة على العنصرية التي تم تسليط الضوء عليها في وسائل الإعلام في شهر يناير/كانون الثاني من عام 2022، ويبين أن الهجمات العنصرية كانت كبيرة منها طعن لاجئ سوري حتى الموت في إسطنبول، ومهاجمة متجر سوري في شارع باغلارششمة في حي إسنيورت بإسطنبول، ورجمه بالحجارة وترديد شعارات مثل «هذه تركيا وليست سورية».

كيف انعكس خطاب الكراهية على المجتمع التركي؟

تخلق الخطابات التمييزية «دوامة من الكراهية» تنتشر عبر المحتوى الإعلامي وقنوات الاتصال لتحاصر اللاجئين والمهاجرين من خلال تكرارها وتدويرها بطرق مختلفة، عبر مصادر متنوعة مثل تصريحات الجهات الفاعلة ذات الرؤية السياسية أو الاجتماعية، أو الادعاءات والمعلومات المضللة المنتشرة عبر منصات وسائل التواصل الاجتماعي، والأخبار في وسائل الإعلام الرئيسية، نظرا لأن المحتوى الإخباري بمثابة المصدر الرئيسي للمعلومات التي تشكل التصور المجتمعي تجاه اللاجئين والمهاجرين، وبالتالي ينعكس المحتوى على سلوك الأفراد في الحياة على شكل مواقف عنصرية وتمييزية تجاه اللاجئين والمهاجرين، وهجمات الكراهية، وفق ما جاء في دراسة رصد دورة الكراهية في المحتوى الإعلامي، الصادرة عن جمعية الإعلام والهجرة.

«وفي الماضي، كانت وسائل الإعلام التقليدية (الصحف والقنوات) ترفض نشر الكثير من المصطلحات وعبارات الكراهية، لكن اليوم المواقع الإلكترونية وحسابات التواصل الاجتماعي لا تكترث بهذه المعايير وتروج تلك العبارات والمصطلحات وما تحمله من تنميط، ولا يترك الخطاب ذاته أثره على المجتمع ومن فيه من مواطنين ولاجئين، بل ينعكس على الكثير من الأجانب الذين تخيفهم الهجمات العنصرية الناتجة عن تصاعد خطاب الكراهية، مثل السياح الذين باتوا يتجنبون زيارة تركيا»، وفق ما ترصده الأكاديمية في كلية الاتصالات بجامعة أنقرة بورجو سومير والتي تدرس مادة الإعلام السياسي، معتبرة أن «أكثر ما يخيفها هو تجنب من يعيشون في تركيا لتواصل بعضهم مع بعض، إذ بات كل طرف يتعامل مع الآخر من خلال الصورة التي شكّلها في عقله ومصدرها الأخبار والمعلومات التي خلقتها مواقع التواصل الاجتماعي ووسائل إعلامية أخرى»، وضربت مثالا بأثر هذا الخطاب على العقول بالإشارة إلى ما قالته طفلة سورية بعد انتشالها من تحت الأنقاض في مدينة أنطاكيا بعد وقوع زلزال كهرمان مرعش العام الماضي، أنها لم تكن تصرخ لطلب النجدة معتقدة أنه في حال عرفت فرق الإنقاذ أنها سورية لن يقدموا لها المساعدة، وهو حال تصفه سومير بأنه «أمر مرعب حقاً ولا بد من منع تصاعد هذا الخطاب وخلق حالة قبول للآخر في أسرع وقت ممكن».